

العباس بن الوليد فارس بني مروان

دكتور / عبدالغنى عبد الفتاح زهرة
مدرس التاريخ والحضارة الاسلامية

لما كانت الأمة الاسلامية تجتاز اليوم فترة من أخطر فترات تاريخها أصبح المسلمون اليوم فى حاجة لقادة مجاهدين لا متخاذلين ، يرفعون راية الاسلام ولا يهربون من النسب اليه ، وكأنه أصبح اليوم تهمة يحاول البعض أن يتبرأ منها ، وقد نال الحكام والخلفاء والسلاطين قدرا كبيرا من اهتمامات المؤرخين ، ورصدوا كافة أعمالهم ، لذا وجب علينا أن نلتمس الى القادة المجاهدين ، ونهتهم بالقاء الضوء على جهادهم ، وتضحياتهم فى سبيل توصيل كلمة الاسلام الى مشارق الأرض ومغاربها ، ليقتردى بهم المسلمون فما أحوجنا لمثل هؤلاء القادة لينهضوا بالأمة من سباتها ، ويفيقوها من غفوتها ، ويتصدوا للسهام التى توجه اليها .

وقد أثرت أن يكون موضع هذه الدراسة القائد المجاهد العباس بن الوليد بن عبد الملك لأنه عاش معظم حياته وقضى معظم أيامه فى الجهاد والفرز لنشر الاسلام وتأمين حدوده وتثبيت أركان الدولة الاسلامية ومقاومة الطامعين فيها ، كما عاصر الأيام الاخيرة للدولة الاموية وسعى جاهدا للحفاظ عليها ، ولكن يد الهدم كانت أكثر قوة منه ومن المخلصين أمثاله مما أدى الى سقوطها بعد وفاته بقليل سنة ١٣٢هـ

على يد العباسيين والله أسأل أن يوفقنا لما فيه الخير وينعم على
أمتنا بقيادة مجاهدين مخلصين فإنه لن يصلح شأن هذه الأمة
إلا بما صلح به أولها .

نشأة العباس وعصره :

هو العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن
أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو الحارث الأموي ، أما أمه
فكانت جارية من أمهات الأولاد (١) لم أصل الى اسمها في المصادر
التاريخية ، فما ذكره المؤرخون عنها لا يعدو قولهم : « ومن ولد
الوليد بن عبد الملك العباس وهو أكبر ولده وبه كان يكتنى
وعمر وبشرا وروحا وغيرهم لأمهات أولاد » (٢) .

ويبدو أنها كانت من أسرى الروم النصرانيات لما ذكره
ابن عمرو الهاشمي « أن من أبناء النصرانيات العباس بن الوليد
ابن عبد الملك » (٣) .

وقد تجاهل المؤرخون السنة التي ولد فيها العباس كما
تجاهلوا الحديث عن نشأته لانشغالهم بنشأة الخلفاء وحياتهم ،
ويرجع هذا الى عدم تقلد العباس للخلافة اذ لو كان من الخلفاء
للتبّع المؤرخون حياته ، ونقبوا عن نشأته ومولده ، والراجح

(١) يقصد بأمهات الاولاد الجوارى أو الاماء اللاتي ولدن لمواليهن
أولادا ذكورا .

(٢) أبي عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيري - نسب قريش ص ١٦٥
دار المعارف ط ٢ .

(٣) أبي جعفر محمد بن حبيب الهاشمي البغدادى - المحبر ص ٣٠٥
دائرة المعارف العثمانية سنة ١٩٤٢م .

لدينا أنه ولد في ستين ونيف من الهجرة إذ أنه تولى أول قيادة للجيش المتجهة الى الروم سنة ٨٨هـ في خلافة أبيه الوليد بن عبد الملك (٤) •

وكان الخلفاء لا يولون أبناءهم القيادة أو الامارة غالبا الا في سن العشرين وما بعدها ليستطيع تسييس جنده وإدارة دفعة الحرب باقتدار ، وخاصة أن أول قيادة للعباس كانت ضد الروم وهم أكبر خطر يواجه الاسلام حينذاك وقد نشأ العباس في دمشق إذ كان أبوه نائبا عليها عن جده عبد الملك بن مروان أثناء انشغاله بمحاربة عبد الله بن الزبير (٥) ، ونال العباس حظا وافرا بعد ذلك من تربية جده عبد الملك إذ عاصره ما يزيد على عشر سنوات ، وكان عبد الملك يعنى بتربية أولاده وأحفاده تربية دينية ، ويحرص على ألا يهملوا قراءة القرآن ، ولا يترك فرصة لاسداء النصح لبنيه أو لمعلمي أولاده الا وانتهزها ، وقد سار الوليد على سياسة أبيه في تربية أولاده تربية صالحة وكان الوليد حريصا جدا على تعلم القرآن وحفظه ليس لأبنائه فقط وانما للرعية أيضا ، فيروى الطبرى أن رجلا من بنى مخزوم أتى الوليد يسأله في دينه (مال وجب عليه سداه) فقال الوليد : نعم ان كنت مستحقا لذلك ، قال : يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقا لذلك مع قرابتي ! فقال له : أقرأت القرآن ؟ قال : لا ، قال : أدن مني ، فدنا منه ، فنزع عمامته بقضيب كان في يده ، وقرعه

(٤) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج ٦ ص ٤٣٤ دار المعارف ط ٤

(٥) ابن قتيبة الدينورى - عيون الاخبار - ج ٢ ص ٢٨ الهيئة

المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣ •

قرعات بالقضيب ، وقال لرجل : ضم هذا اليك فلا يفاركك حتى يقرأ القرآن ، وسأله رجل آخر دينه فاستقرأه بعض آيات القرآن فقرأه فسدده عنه دينه (٦) .

ولذلك كان من باب أولى أن ينشأ أولاده ومنهم العباس على حفظ القرآن وتعلمه ورواية الحديث وحفظ الأخبار والاشعار ، ثم تدريبه على ركوب الخيل ورمى النبال ، كما كان الوليد يحرص على تدريب أولاده على فنون الإدارة والسياسة والقتال ، ولذلك نجد بعض أولاده كانوا قادة لجيوش المسلمين وكان لهم سبق طويل فى الغزو والجهاد (٧) .

وتتسم الفترة التى نشأ فيها العباس بأنها كانت فترة عصبية فى تاريخ الأسرة الاموية ، فقد شهدت ثورة عبد الله بن الزبير ودعوته لنفسه بالخلافة فى الحجاز ، كما شهدت انقسام الأمويين حول تولي الخلافة واضطراب الامور فى الشام ، وقد انتهى أمر الخلافة بالشام الى تولي مروان بن الحكم الخلافة ، وانتصاره على المخالفين له فى موقعة مرج راهط بالقرب من دمشق فى المحرم سنة ٦٥هـ (٨) .

وبعد وفاته فى نفس العام تولي ابنه عبد الملك الخلافة ونجح فى القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير سنة ٧٣هـ (٩) .

(٦) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ٤٩٦ .

(٧) ابن خلدون - العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

دار الكتاب اللبنانى سنة ١٩٨١م .

(٨) اليعقوبى - تاريخه - ج ٢ ص ٢١٦ دار صادر بيروت .

(٩) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ١٨٧ .

واستقرت بذلك أمور الدولة الداخلية ، مما جعل عبد الملك يستأنف الفتوحات مرة أخرى ، وجاء بعده ابنه الوليد ليسير الجيوش شرقا وغربا ويفتح العباس عينيه على أنباء الغزو والجهاد فيشتد عوده وهو يتطلع للمشاركة في هذه الغزوات ، وليس بمستبعد أنه شارك في الجهاد والغزو وقبل ظهور اسمه قائدا للجيوش ، فليس بمعقول أن تكون أول مشاركة له في الغزو قائدا للجيش ، لذلك تشبع العباس منذ صباه بحب الجهاد والتضحية والرغبة في رفع راية الاسلام والدفاع عنه أمام أعدائه ودرء الخطر المحدق به بعد أن طمع الروم في المسلمين أثناء فترة اضطراب الخلافة - التي أشرنا إليها سابقا - لذلك كان لابد من قادة أشداء يعيدوا الروم الى صوابهم ، ويسترجعوا مجد الاسلام وقوته ، وكان على رأسهم العباس بن الوليد ومسلمة بن عبد الملك .

أما عن حياة العباس الخاصة فقد تزوج حفيدة الامام الحسين - رضى الله عنه - وهى ربيعة بنت السيدة سكينة بنت الامام الحسين ، وكان أبوها هو عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد (١٠) . كما تزوج أم سعيد بنت سعيد ابن عثمان بن عفان (١١) ، وكان له ثلاثون ولدا ذكرت أسماءهم

(١٠) أبى عبد الله الزبيرى - نسب قريش - ص ٥٩ ، ابن حزم الاندلسى - جمهرة أنساب العرب - ص ١٢١ القاهرة ١٩٨٣ .

(١١) كانت أم سعيد زوجة لهشام بن عبد الملك ثم طلقها فتزوجها العباس بن الوليد وبعد فترة طلقها فتزوجت عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، فندم العباس على طلاقها ، ودس إليها أحد رسله ويسمى

في بعض الروايات التاريخية (١٢) •

جهاد العباس ضد الروم :

كان أمام الأمير العباس بن الوليد كفيره من أبناء الحكم
أحد أمرين يطبع بها حياته ويجعلها وقفا عليها، الأولى أن ينفمس
في الشرف والنعيم واللهو والعبث ، فيستكثر من معايرة
المدام ، والاستماع الى القيان ، والتمتع بالجوارى الحسان ،
وأما الأخرى فهي أن يترك كل ما ذكره من أنواع اللهو والعبث
وأسباب الترف والنعيم وراءه ظهرياً ، وأن يتجه وجهة أخرى

أشعب ربأيات قالها ، وجعل له ألف دينار أن أنشدتها إياها ، فأنشدتها
لها ، فقالت له : دسك العباس وجعل لك ألف دينار فلك مثلها على أن
تخبره بما أقول ثم استنشدته فردت على قوله :

أسعدة هل اليك لنا سبيل وهل حتى القيامة من تلاق
فقالت : لا أن شاء الله •

وردت على قوله :

بلى ولعل دارك أن تؤاتي بموت من أحليكَ أو فراق
فقالت : بفيك الحجر •

ثم ردت على قوله :

فأرجع شامتاً وتقر عيني ويشعب صدعنا بعد انشقاق
فقالت : بل يشمت الله بك ويجمع شملنا •

المرزباني : نور القبس - ص ٢٨١ فسيادن سنة ١٩٦٤ •

(١٢) ابن حزم الاندلسي - جمهرة أنساب العرب - ص ٨٩ ، الزركلي

الاعلام - ج ٣ ص ٣٦٨ بيروت سنة ١٩٨٦ •

فأنفع له وأجدى لأمته ودولته ، وأعنى بذلك التمرس على الحرب
 واتقان فنون القتال ، وقد اختار العباس الثانية فأضحى علماً
 من أعلام الحرب المرموقين ، وأحد القادة العسكريين الذين
 سطروا أسماءهم بأحرف من نور فى سجل المجاهدين .

ورغم أن لنشأة العباس وتربية أبيه دوراً فى ذلك الاختيار
 إلا أننا يجب أن لا نغفل أن طبائع العباس ونفسه كانت مهياة
 لهذا الاختيار ، وأقبل عليه بشغف وعزيمة ، إذ لو كان ذلك
 اجباراً عليه لتخلى عن الجهاد بعد وفاة أبيه سنة ٩٦ هـ ، وتحول
 إلى اللهو والترف ، كما أن للوليد تسعة عشر ولداً ذكر (١٣)
 لم يبرز منهم فى ميدان الجهاد سوى اثنين أو ثلاث على رأسهم
 العباس ، مما يدل على أنهم قبلوا طريق الجهاد رغبة فيه
 لا اجباراً عليهم .

وقد تركز جهاد العباس فى جبهة الروم فى الوقت الذى
 كان فيه قتيبة بن مسلم الباهلى يواصل فتوحاته فى بلاد ما وراء
 النهر ومحمد بن القاسم فى بلاد الهند (١٤) .

وقد سبق العباس فى الجبهة الشمالية - جبهة الروم -
 قادة عظام حافظوا على الشغور الاسلامية المتاخمة للروم بل
 وقاموا بشن هجمات عديدة على بلاد الروم منذ أن بدأ الصراع
 معهم ، وكان على رأس هؤلاء القادة معاوية بن أبى سفيان الذى

(١٣) ابن حزم الاندلسى - جمهرة أنساب العرب - ص ٨٩ .

(١٤) د/ حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام السياسى - ج ١

ص ٣٠٦ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٨٢ .

أسس البحرية الاسلامية عندما كان أميراً للشام فى عصر الخليفة
عثمان بن عفان (١٥) .

وبعدما تولى معاوية الخلافة اهتم بالصوائف والشواتى (١٦).
للهجوم على بلاد الروم ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب هو الذى
أشار بنظام الصوائف والشواتى (١٧) ، ثم استأنفها معاوية
بعد توقفها أثناء أحداث الفتنة الكبرى فى عصرى عثمان وعلى
- رضى الله عنهما - .

وكان الهدف من حملات الصوائف والشواتى التى دعا
اليها عمر بن الخطاب مالمسه أولاً من طبيعة اقليم الشام الجغرافية
وتلامس حدوده مع حدود دولة الروم ، وثانياً أنه أطلع على
أخبار فتح المدن والنجور الشامية فأدرك أهمية اخضاع هذه

(١٥) د/ سيدة كاشف - الوليد بن عبد الملك - ص ١٥٤ سلسلة

أعلام العرب رقم ١٧ .

(١٦) الصوائف جمع صائفة ، والشواتى جمع شاتية ، وهى حملات
حربية فصلية تخرج من قواعد محصنة وتتوغل فى أرض الدولة البيزنطية
والصائفة أكبر قدراً من الشاتية لأنها تشتمل عدداً أوفر من الجند والميرة
وتتسع مدة مكثها فى عمق بلاد الروم ، أما الشاتية فهى محدودة العدد، ومن
المستحسن أن لا تبعد فى قصدها وفى توغلها فى بلاد الروم لئلا يتأذى
جندها بشدة البرودة كلما ابتعدوا عن مواطنهم التى ألفوا جوها .

قدامة بن جعفر - كتاب الخراج وصناعة الكتابة - ص ١٩٢، شرح
وتحقيق د/ محمد حسين الزبيدى - بغداد سنة ١٩٧٩ ، د/ مغاوى عبيد
منصور - الصوائف والشواتى فى عصر الدولة الاموية - ص ٥ ، الطبعة
الاولى سنة ١٩٩٣ .

(١٧) الطبرى - تاريخ الزمئل والملوك - ج ٤ ص ٦٤ .

الجهات لسلطان الدولة من جهة ، أو الحيلولة دون اخطارها على بلدان المسلمين على الاقل من جهة ثانية ، فظهر من ذلك كله أن هذه الجهات لا يمكن السكوت عليها ، فهي فى حاجة دائما الى اثبات السيطرة الاسلامية وعلى أهلها الذين سرعان ما يعودون فينقضون عهدهم ويخلعون أيدي الطاعة ، يعززهم فى ذلك اتساع حدود بلادهم ، وتراعى أطرافها ، واهتمام البيزنطيين بها ، وحرصهم على أن لا تخرج من حدود سيطرتهم ، لذلك تطلب الامر من المسلمين تتابع الحملات على هذه البلاد لتوطيد سيطرة المسلمين عليها وتزايد فتوحاتهم داخل بلاد الروم .

وكانت ميسادين القتال فى الصوائف والشواتى مفتوحة وغير محددة ولكنها اتخذت فى مجملها ثلاث قطاعات :

الاول : فى الشفور البرية فى سورية وأرمينية ويشمل حمص وقنسرين وحلب ومنبج وغيرها .

الثانى : يشمل الشفور البحرية مثل طرابلس وصيدا واللاذقية وغيرها .

الثالث : كان ميدانا مفتوحا فى سائر بلاد آسيا الصغرى ضاربا فى أملاك الروم حتى القسطنطينية ، كما يصعد شمالا إلى بلاد أرمينية والجزيرة حيثما تقتضيه ظروف ، كل بعث (١٨) وكانت هذه الحملات مدارس لتخريج القادة الابطال

(١٨) د/ فيليب حتى - تاريخ سورية ج ٢ ص ٤٤ - ٤٥ ترجمة د/ جورج جداد ، عبد الكريم رافق ، بيروت سنة ١٩٨٥ د/ مغاوى منصور عبيد - الصوائف والشواتى ص ١٤ .

المجاهدين منهم فى عصر معاوية «٤١ - ٦٠ هـ» بسر بن أرطاة وسفيان بن عوف ، وفضالة بن عبيد الانصارى ، ثم توقفت هذه الحملات بعد وفاة معاوية الظهور الفتن الداخلية بالدولة الاسلامية ، مما أطمع البيزنطيين فى الدولة وقاموا بالهجوم على الشام فاضطر عبد الملك بن مروان الى عقد الصلح مع البيزنطيين ودفع الاموال لهم عام ٧٠ هـ (١٩) ، ولكن ما كادت الامور تستقر فى الدولة الاسلامية سنة ٧٣ هـ حتى استأنف عبد الملك جهاده ضد البيزنطيين مرة أخرى ، وأعاد حملات الشواطىء والصوائف من جديد ، وبدأ يعد أخوته وأبنائه وأحفاده لتولى قيادة هذه الحملات ، وعلى رأسهم أخيه محمد بن مروان الذى غزا على قيادة الصائفة سنة ٧٣ هـ ، ثم ابنه الوليد سنة ٨٠ (٢٠) وابنه عبد الله سنة ٨٤ هـ ، وفى آخر سنوات حكمه غزا الروم أعظم أبنائه فى الغزو والجهاد وهو مسلمة بن عبد الملك سنة ٨٦ هـ (٢١) .

(١٩) ابن الاثير - الكامل فى التاريخ - ج ٤ - ص ٢ دار الكتاب العربى بيروت سنة ١٩٨٥ .

(٢٠) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ١٩٤ ، ٣٠٣ .

(٢١) يعتبر مسلمة بن عبد الملك من أبطال عصره فى بنى أمية . قال عنه الذهبى : « هو الامير الضرغام قائد الجيوش أبو سعيد الاموى » ويلقب بالجرادة الصفراء ، له مواقف مشهورة مع الروم ، سير اعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٤١ مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة الاولى .

وقال عنه ابن كثير : « كانت لمسلمة مواقف مشهورة ، ومساعى مشكورة ، وغزوات متتالية ، وقد افتتح حصونا وقلاعاً ، وأحيا بعضه قصورا وبقاعاً ، وكان فى زمانه فى الغزوات نظير خالد بن الوليد فى »

وبعدما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة بدأ يجهز ابنه العباس للمغزو والجهاد ليشارك اخوته فى قيادة الجيوش ، وقد أسند اليه أول قيادة للجيش سنة ٨٨ هـ (٢٢) .

ومن الراجح أن العباس شارك قبل ذلك محاربا فى جيش عمه مسلمة بن عبد الملك ليعرف طبيعة البلاد ويتمرس على جوار الحرب والجهاد ، فأثبت كفاءة عالية فى القتال وظهرت مواهبه العسكرية ، وهذا ما دفع الخليفة الوليد الى أن يسند اليه قيادة حملتى الصائفة والشتاتية فى أول عام يتولى فيه القيادة

=

أيامه ، فى كثرة مغازيه ، وكثرة فتوحه ، وشدة بأسه ، وجودة تصرفه فى نقضه وإبرامه ، وهذا مع الكرم والفصاحة وتوفى سنة ١٢١ هـ « .
 البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٧٠ دار الفكر العربى ط ١/ ١٩٣٣ .
 وستأتى له مواقف كثيرة مشتركة مع قائدنا العباس بن الوليد سنتحدث عنها فى حينها .

(٢٢) الطبرى - ج ٦ ص ٤٣٤ ، ابن الاثير - الكامل ج ٤ ص ١٠٨
 وقد ذكرت بعض المراجع الحديثة أن أول ظهور للعباس فى قيادة الجيش كان سنة ٨٦ هـ فى أواخر عصر جده عبد الملك بن مروان « د/ عبد العظيم رمضان - الصراع بين العرب وأوربا - ص ١٠٣ ، دار المعارف سنة ١٩٨٢
 على صافى حسين - مسلمة بن عبد الملك - ص ٥٣ الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٤ « الا اننى لم أجد فى المصادر ما يؤيد هذا رأى ، والراجح لدينا ما ورد فى المصادر مثل الطبرى وابن الاثير ، لانها لم تكن تغفل قيادة الجيوش المتجهة الى الروم لما لها من أهمية ، كما انهم أوردوا أسماء قادة الجيوش سنة ٨٦ هـ ، سنة ٨٧ هـ ، وليس بينهم العباس فما هو الداعى اذن لتجاهله ؟

ويعززه ببعض كبار رجال دولته ليشلوا من أزره ، ويقفوا بجانبه (٢٣) .

وقد أثبت العباس أنه أهل لثقة الخليفة ، وأنه ليس أقل كفاءة ممن سبقه من القادة ، ففي أول حملة له وهي الشتائية سنة ٨٨ هـ كلفه الخليفة بفتح حصن طوانه (٢٤) ، وجهاز له جيشا كبيرا ، كما سار معه الى الروم جيش آخر بقيادة مسلمة ابن عبد الملك لمؤازرته في أول حملة يقوم بها، والتقت جيوش المسلمين مع الروم بالقرب من حصن طوانه ، فانهزم الروم ، وتراجعوا الى كنيسة لهم بالقرب من ميدان الحرب ليحتموا بها، ثم أعادوا تنظيم صفوفهم مرة أخرى قبل أن يواصل المسلمون هجومهم عليهم ، وكروا على المسلمين فهزموهم ، حتى ظن المسلمون انهم لن يحققوا هدفهم في هذه الحملة ، ولن يفتحوا الحصن الذي كلفوا به من قبل الخليفة ، وكأنما أرادت الأقدار أن تضع العباس بن الوليد في اختبار صعب لتكشف مدى صلاته في مواجهة المحن والمصائب ، وقد صدق الله تعالى حين قال : « وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين » (٢٥) ، فقد ثبت العباس في عدد قليل من جنده ، ومنهم ابن محيرز الحمصي ، فقال له العباس : أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة ؟ فقال ابن محيرز : نادهم يأتوك ، فنادى العباس : يا أهل القرآن ، فأقبلت جيوش المسلمين اليه مرة أخرى ، وهجموا على

(٢٣) أبي جعفر محمد بن حبيب الهاشمي البغدادي - المحبر ص ٣٧٣

(٢٤) حصن طوانه مفتاح الطريق الهام بين الشام والبيسفور ، وأهم

معاقل كبادوكيا ، وكانت تقع الى الجنوب من كليكا ، وتسند ممر طوروس .

(٢٥) سورة آل عمران - آية رقم ١٤١ .

الروم وهزموهم ، فتراجع الروم الى حصن طوانه ، وتحصنوا بداخله ، فحاصروهم العباس ، وانضم اليه عمه مسلمة بجيشه وفرضوا على الحصن حصارا محكما وضرب أسوارهم بالمنجنيق عدة أشهر ، قتلوا خلالها من الروم خمسين ألفا عدا الآلاف من الاسرى ، ثم اقتحموا الحصن وسيطروا عليه فى جمادى الاولى سنة ٨٨ هـ (٢٦) .

أما الحملة الثانية وهى الصائفة فكانت لتأمين الحدود وتثبيت أقدام المسلمين فى البلاد التى فتحوها ، وكان معظم من فيها مع العباس من أهل المدينة المنورة (٢٧) ، اذ كان العباس يتفائل بهم لانهم أهل القرآن الذين وقفوا بجانبه أثناء الحملة السابقة .

وفى سنة ٨٩ هـ اطمأن الخليفة الوليد لمقدرة العباس العسكرية وأنه يستطيع قيادة الجيش بمفرده دون مساعدة من عمه مسلمة ، لذلك انفصل العباس بجيشه عن جيش عمه مسلمة فى حملة الشتائية بعد دخولهم بلاد الروم ، فاتجه مسلمة الى عمورية (٢٨) فوجد بها جمعا من الروم فهزمهم وافتتح بالقرب منها هرقله وقمودية « قمونية » (٢٩) .

(٢٦) ابن الاثير - الكامل ج ٤ ص ١٠٨ ، النويرى - نهاية الارب ج ٢١ ص ٣١١ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦ ، د/ عبد العظيم رمضان - الصراع بين العرب وأوروبا ص ٢٠٣ .

(٢٧) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ٤٣٤ .

(٢٨) عمورية كانت احدى بلاد الروم فى وسط آسيا الصغرى ، وكانت حصينة ياقوت - معجم البلدان ج ٤ ص ١٥٨ دار صادر بيروت .

(٢٩) هرقله مدينة بجنوب بلاد الروم وقمودية بالقرب منها - ياقوت

ج ٥ - ص ٣٩٨ .

أما العباس فتوجه بجيشه الى أذربايجان (٣٠) ، وتقابل فيها مع جيش من الروم فهزمهم وسيطروا على حصن أذربايجان (٣١) .
وكانت هذه الانتصارات المتتالية للعباس دافعا للخليفة الوليد لان يقلده حملة الصائفة مع يقاء عمه مسلمة بدمشق ، وهى أول مرة يقيم فيها بدمشق أثناء الغزو منذ توليه قيادة الشواتى والصوائف سنة ٨٦ هـ .

ولم يكن هذا يحدث لولا اطمئنان الخليفة لحسن قيادة ابنه العباس للجيش ، وقدرته على خوض غمار الحرب مع الروم بمفرده والعودة بجيشه سالما ، وكانت وجهة هذه الحملة ناحية البندون - بآسيا الصغرى - فأسر جمعا من الروم ، وأمن حدود المسلمين وعاد الى دمشق مرة أخرى (٣٢) .

وفى سنة ٩٠ هـ توجه بجيشه الى بلاد الروم حتى بلغ الأرزن (٣٣) ، فقتل عددا كبيرا من الروم ، وغنم منهم غنائم كثيرة ، وتقابل مع جيش عمه مسلمة فى شمال سورية بعد أن

(٣٠) أذربايجان وفى بعض المصادر أذربايجان مدينة فى أرض الروم جنوب شرق آسيا الصغرى - ياقوت معجم البلدان ج ٢ ص ٤٥٣ .
(٣١) اليعقوبى تاريخه ج ٢ ص ٢٩٢ ، ابن كثير - البداية والنهاية ج ٩ ص ٩٤ .

(٣٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ٤٣٩ ، ابن خلدون العبر - ج ٥ ص ١٥٣ .

(٣٣) الأرزن مدينة مشهورة فى أرمينية قرب مدينة خلاط ، ولها قلعة حصينة - ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ١٥٠ .

أدى هو الآخر المهام المكلف بها (٣٤) .

وفي سنة ٩١ هـ كان الخليفة الوليد قد أطمأن ووثق في قيادة ابنه العباس وأدرك أنه أصبح أحد القادة الكبار في الدولة ، لذلك رأى اتاحة الفرصة لتدريب ابن آخر من أبنائه في قيادة الجيوش ، فأسند حملات الغزو في هذا العام الى ابنه عبد العزيز ، وفي ٩٢ هـ أسند القيادة الى ابنه عمر ، وكانت سياسة الوليد - كما ذكرنا - تقوم على تربية أبنائه على الغزو والجهاد .

وفي سنة ٩٣ هـ يعود العباس لقيادة الجيوش مرة أخرى ليكلف بفتح حصون جديدة بعد أن اقتضت الحملات السابقة على تأمين الحدود ، وقد تمكن العباس وجيشه من فتح ثلاثة حصون في بلاد الروم هي سمسطية والمرزبانين وطرسوس (٣٥) .

وكان هناك هدف آخر لهذه الحملة وهو مساندة العباس لقائد جديد هو مروان بن الوليد الذي كان في حاجة لمن يشده أزره في أول حملة له في بلاد الروم ، وقد نجح خلالها من السيطرة على حصن خنجره (٣٦) .

(٣٤) ابن الاثير - الكامل - ج ٤ ص ١١٦ ، ابن كثير البداية والنهاية ج ٩ ص ٨٤ ابن خلدون - العبر ج ٥ ص ١٥٣ ، وكانت سورية تطلق حينذاك على الاقليم المتأخم للجزيرة وديار بكر من الناحية الشمالية بين خناصره وسلمية ياقوت - معجم البلدان ج ٣ ص ٢٨٠ .

(٣٥) ابن الاثير - الكامل ج ٤ ص ١٢٩ .

(٣٦) اليعقوبي - ج ٢ ص ٢٩٣ ، الطبري - تاريخ الرسل والملوك

وفى سنة ٩٤هـ توجه العباس بجيشه الى بلاد الروم وحقق نجاحا كبيرا فى هذه الحملة اذ تمكن خلالها من فتح مدينة أنطاكية (٣٧) ، ثم توالى انتصارات العباس على جيوش الروم ففى سنة ٩٥هـ نجح العباس فى حملته على بلاد الروم من فتح ثلاثة حصون بها هى طولس والمرزبانين وهرقله (٣٨) .

وفى سنة ٩٦هـ بقى العباس بالشام وتولى القيادة أخوه بشر بن الوليد لينضم الى صفوف القادة المجاهدين ، وكان هذا قدر من الله ليشهد العباس وفاة أبيه الوليد فى جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ بعد أن مكث فى الخلافة ما يقرب من عشر سنوات ، كانت من أعظم عصور الدولة الإسلامية حضارة وازدهارا وفتحا للمسلمين ، وقد حزن عليه العباس حزنا شديدا لما له من فضل عظيم عليه اذ يوأه مكان الصدارة فى الغزو والجهاد وجعل منه قائدا عظيما (٣٩) .

(٣٧) أنطاكية عاصمة ثغور بلاد الشام تقع غرب حلب على مقربة من بحر الروم البحر المتوسط ياقوت - معجم البلدان ج ١ ص ٢٦٨ .
(٣٨) كان العباس قد فتح المرزبانين وهرقله قبل ذلك الا أن الروم سيطروا عليهما مرة أخرى بعد عودة الجيوش الإسلامية الى الشام لذلك أعاد العباس فتحها مرة أخرى فى هذا العام . الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج ٦ ص ٤٩٢ .

(٣٩) أظهر الشاعر جرير حزن العباس فى رثائه للخليفة الوليد اذ يقول :

يا عين جودى بدمع هاجه الذكر فما لدمعك بعد اليوم مدخر
ان الخليفة قد وارت شمائله غيراء ملحدة فى جولها زور

وقد انشغل العباس بعد وفاة والده بإدارة ولايته التي تشمل حمص وحلب (٤٠) ، إلا أن هذا لم يكن هو الدافع الرئيسى لابتعاده عن ساحة الجهاد، وإنما الدافع الرئيسى هو رغبة الخليفة سليمان فى اسناد القيادة الى أولاده وابعاد أبناء أخيه الوليد (٤١) ، لذلك لم نر للعباس دورا فى حملة القسطنطينية التى توجهت الروم سنة ٩٨هـ ، وكان هو أحق من يتولى قيادتها مع عمه مسلمة لخبرته السابقة فى محاربة الروم ، وقد فشلت هذه الحملة فى فتح القسطنطينية وأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بعودتها مرة أخرى سنة ٩٩هـ (٤٢) .

ويعود العباس للجهاد مرة أخرى بعد مشاركته فى القضاء على فتنة يزيد بن المهلب - سنتحدث عنها فيما بعد - فيعود

أضحى بنوه وقد جلت مصيبتهم مثل النجوم هوى من بينها القمر
كانوا جميعا فلم يدفع مئنته عبد العزيز ولا روح ولا عمر
وخالد لو أراد الدهر فديته أغلوا مخاطرة لويقبل الخطر
قد شفى روعة العباس من فزع لما أتاه بدير القسطل الخبر

الطبرى - تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ٤٩٨ .

(٤٠) الذهبى تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ج ١٥ ص ٩٣ .

دار الكتب المصرية ١٩٤٩ ، الزركلى الاعلام ج ٣ ص ٢٦٨ ، محمد راغب

ابن محمود الحلبي - اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء - ج ١ ص ١١٦

حلب سنة ١٩٢٣ ط ١ .

(٤١) اليعقوبى تاريخه ج ٢ ص ٣٠٠ ، ابن الجوزى المنتظم ج ٧

ص ٢٤ .

(٤٢) الذهبى تاريخ الاسلام ج ٥ ص ٣٣٣ .

حملة الصائفة سنة ١٠٢هـ ويفتح مدينة دلسة (٤٣) وفي سنة ١٠٣هـ يقود الجيش مرة أخرى الى بلاد الروم لتأمين الثغور الاسلامية ويفتح مدينة رسله (٤٤) .

فتنة يزيد بن المطلب ودور العباس في القضاء عليها :

بعد نجاح عبد الملك بن مروان وابنه الوليد في تثبيت أركان الأموية والقضاء على ماواجههم من عقبات بمساعدة واليهم الحجاج بن يوسف الثقفي ، الذي استطاع أن ينشر الأمن والنظام في العراق بعد أن دأب أهله على الثورات والانقضاض واستمروا حياة الشغب والاضطراب ، فعرف الحجاج كيف يستوسهم ، ويخلق منهم قوة عسكرية يوطد بها الحكم الاسلامي في خراسان وأرمينية وأذربيجان وبلاد الري والهند وغيرها .

ولكن بعد وفاة الحجاج والوليد ، وتولى سليمان بن عبد الملك الخلافة أخذت الامور في الاضطراب مرة أخرى ، وبدأ الخوارج والشيعية في إثارة الاضطرابات في العراق وبلاد الاهواز (٤٥) .

وقد وجد الطامعون في الحكم في هذه الاضطرابات فرصة لتحقيق أطماعهم وأعلنوا راية التمرد والعصيان ، وكان على رأسهم يزيد بن المهلب .

(٤٣) ابن الاثير الكامل ج ٤ ص ١٨٢ ، النويري - نهاية الارب

ج ٢١ ص ٣٧٨ .

(٤٤) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ٦١٩ .

(٤٥) بلاد الاهواز تقع في المنطقة التي بين البصرة وفارس وأشهر

بلد فيها كانت تعرف بسوق الاهواز - ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٢٨٤

وكان يزيد بن المهلب مقربا الى الخليفة سليمان بن عبد الملك ، ومن أهم ولااته تولى حكم العراق وخراسان ، وغزا بلاد جرجان وطبرستان سنة ٩٨ هـ وفتحها (٤٦) ، ولكن بعد تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة ٩٩ هـ عزل يزيد بن المهلب عن العراق وخراسان ، وكان عمر ييغض يزيد وأهل بيته ، ثم سأله عن الاموال التى كانت عنده فأنكرها ، فأمر عمر بحبسه ، ولكنه هرب من سجنه ، واتجه نحو البصرة ، ثم توفي عمر وتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة فبلغه هرب يزيد بن المهلب ، فأرسل له أمانا مع خالد بن عبد الله القسرى ، وعمر بن يزيد الحكمى ، ولكن يزيد بن المهلب استمر فى عصيانه ، وأعلن خلع الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وقام بمحاربة قوات والى البصرة وهزمهم ، وقتل عددا من أشرف أهل الشام ، ثم اتجه الى قصر الوالى فاقتحمه ، وقبض على الوالى عدى بن أرطاة وحبسه بسبب حبسه آل المهلب ، وتضييقه عليهم قبل ذلك ، وهرب رؤوس أهل البصرة فلحقوا بالكوفة خوفا من يزيد بن المهلب وأتباعه (٤٧) .

وعمل يزيد بن المهلب على توسيع سلطانه فبعث عماله وولاته على الاهواز وفارس وكرمان فلما علم بذلك الخليفة أدرك أن خطره يستفحل ولا بد من القضاء عليه فى أسرع وقت ، وخير من يتولى هذه المهمة فارسا بنى أمية مسلمة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد ، فجهز الخليفة فى أول الامر

(٤٦) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ٥٣٢ .

(٤٧) المسعودى - مروج الذهب ومعادن الجوهر - ج ٣ ص ٢١٠ .

المكتبة العصرية بيروت سنة ١٩٨٧ .

العباس فى أربعة آلاف فارس (٤٨) ، وأمره بالتوجه الى الحيرة قبل أن يصل اليها يزيد بن المهلب ، ويكون مقدمة لجيش الشام الذى سيتوجه لمحاربة ابن المهلب ، ووصل العباس الى الحيرة وعسكر بها .

وفى المقابل أخذ يزيد بن المهلب يستعد لمواجهة أهل الشام ويحث أهل البصرة على الحرب ، فجهز الخليفة الجيوش لمحاربته ، وبلغ عددها ثمانين ألفا من أهل الشام بقيادة مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد .

وقد توجه مسلمة والعباس الى العراق ، وفى الطريق حدث بينهما خلاف وشقاق لان مسلمة بن عبد الملك ربما كان يرى أن العباس لا يستحق أن يتساوى معه فى قيادة الجيش ، وأنه يجب أن يكون هو قائدا عاما للجيش والعباس تحت قيادته ، لذلك كان يعيب العباس ويذمه أمام قادة الجيش فكتب اليه العباس :

ألا نفسى فداك أبا سعيد

وتقصر عن ملاحاتى وعذلى

فلولا أن أصلك حين ينمى

وفرعك منتهى فرعى وأصلى

وأنى أن رميشك هضت عظمى

ونالتنى اذا نالتك نبلى

(٤٨) يذكر ابن أعثم الكوفى انه كان فى عشرين ألفا - الفتح

ج ٨ ص ١١ دائرة المعارف العثمانية .

لقد أنكرتني انكار خوف
 يقصر منك عن شتمى وأكلى
 كقول المرء عمرو فى القوافى
 لقيس حين خالف كل عدل (٤٩)
 عذيرى من خليلى من مراد
 أريد حياته ويريد قتلى (٥٠)

فبلغ ذلك الخليفة يزيد بن عبد الملك فأرسل إليهما من أصلح بينهما ، وتوجها معا حتى نزلا الانبار (٥١) ، وعقدا عندهما جسرا على نهر الفرات للعبور الى الجهة الاخرى متوجهين الى الكوفة ، كما سار يزيد بن المهلب نحوهما بعد أن قام بتنظيم جيشه فجعل على مقدمته أخاه عبد الملك بن المهلب ، فتلاقى العباس بن الوليد بجيشه مع مقدمة جيش يزيد فى

(٤٩) يقصد عمرو بن معد يكرب الصحابى وابن أخته قيس بن مكشوح المرادى وكان بينهما تنافس . أبى على القالى - الامالى - ج ١ ص ٣٦ الهيئـة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥ ، أبى عبيد البكرى - كتاب التنبيه - ص ٢٥ - ٢٦ الهيئـة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦ .
 (٥٠) هذه الابيات قالها عبد الرحمن بن الحكم يعاتب بها أخاه مروان ابن الحكم الخليفة الاموى ، وقد تمثل بها العباس لمسلمة بن عبد الملك أثناء خلافهما .
 أبى على القالى - الامالى ج ١ ص ٣٥ - ٣٦ ، أبى عبيد البكرى - التنبيه ص ٢٥ .

(٥١) الانبار مدينة على نهر الفرات فى غربى مدينة بغداد - ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٢٥٧ .

منطقة سورا (٥٢) ، ودار بينهما القتال ، فكر أهل البصرة على أهل الشام كرة أزاحوهم عن مواقعهم وكشفوهم ، وكان مع أهل الشام بعض قبائل من بنى تميم وقيس وهم من أهل البصرة ووقفوا مع واليها السابق عدى بن أرطاة ضد يزيد بن المهلب ولكنهم انهزموا أمامه ، فانضموا لجيش العباس بن الوليد ، فلما حلت الهزيمة بجيش العباس أمام مقدمة ابن المهلب فى أول الأمر ، ثبتت هذه القبائل فى أماكنها ، ونادى أحدهم - وهو هريم بن أبى طحمة - يا أهل الشام، الله الله أن تسلمونا ! فردوا عليه : لا بأس عليك ان لاهل الشام جولة فى أول القتال أتاك الفوث ، ثم نظموا صفوفهم وكروا على أهل البصرة فهزموهم ، وتراجع عبد الملك الى أخيه، يزيد بن المهلب بالعقر - الموضع الذى يعسكر فيه - (٥٣) .

وقد انضم الى يزيد عدد كبير من أهل الكوفة لما بينهم وبين الشام من عداوة قديمة - ترجع الى عصر على ومعاوية رضى الله عنهما - كما انضم اليه جند كثير من أهل الجبال بفارس وأهل الثغور ، فنظمهم وأحصاهم فى ديوانه فبلغ عدد جنده حينذاك مائة وعشرين ألفا ، ثم أخذ يحرضهم على القتال ويرغبهم فيه ، ومن قوله : « ان هؤلاء القوم - يقصد جند الشام - لن يردهم عن غيهم الا الطعن فى عيونهم ، والضرب بالمشرفية على هامهم » . ثم قال : « انه قد ذكر لى أن هذه الجردة الصفراء - يقصد مسلمة - وعافر ناقة ثمود - يقصد العباس - والله لقد كان سليمان بن عبد الملك أراد أن ينفيه حتى كلمته فيه فأقره

(٥٢) سورا موضع بالقرب من بغداد ياقوت معجم البلدان ج ٣ ص ٣٧٨

(٥٣) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ٥٩١ .

على نسبه (٥٤)، فبلغنى أنه ليس ههما التماسى فى الارض ،
والله لو جاء أهل الأرض جميعا وليس الا أنا ما برحت العرصه
- موضع القتال - حتى تكون لى أو لهم » .

وقد مكث الجيشان ثمانية أيام فى منطقة العقر - بالقرب
من الكوفة - دون قتال ، فلما كان اليوم التاسع وهو يوم الجمعة
الأربع عشرة خلت من صفر سنة ١٠٢ هـ أمر مسلمة أحد قادته
أن يحرق الجسر الذى يعبر عليه الجند الى ناحية البصرة فقام
بحرقه ، ثم قام مسلمة والعباس بتعبئة جيوشهما ، وتنظيمهما
فجعل مسلمة على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندى ، وعلى ميسرته
الهديل بن زفر الحارث العامرى ، أما العباس فجعل على ميمنته
سيف بن هانىء الهمدانى ، وعلى ميسرته سويد بن القعقاع
التميمي ، كما قام يزيد بن المهلب بتنظيم جيشه فجعل على
ميمنته حبيب بن المهلب ، وعلى ميسرته المفضل بن المهلب ، وكان
مع المفضل أهل الكوفة ومكاف بمواجهة جيش العباس بن
الوليد . وقد بدأت الحرب بين الطرفين بالمبارزة فتبارز حيان
النبطى من جند الشام مع محمد بن المهلب ، فجرحه محمد بن
المهلب بعدة جروح ، ثم تشب القتال بين الجيشين ، فرأى
أصحاب يزيد الدخان المتصاعد من حرق الجسر الذى يعبرون
عليه الى البصرة ، فبدأوا فى الفرار من أماكنهم ، فقبل ليزيد ؟
قد انهزم الناس ، قال : ومم انهزموا ؟ هل كان قتال ينهزم من
مثله ؟ ، فقبل له : قالوا أحرق الجسر فلم يثبت أحد ، قال :
قبحهم الله ، وتوجه اليهم وأمر أصحابه ومواليه وناس من قومه

(٥٤) يقصد يزيد بن المهلب أن العباس بن الوليد مطعون فى نسبه

لان أمه كانت رومية ، وذلك للتقليل من شأنه أمام جنده .

بضرب وجوه من ينهزم ، ولكن عدد الفارين كان كبيرا لم يستطيعوا منعهم ، فقال يزيد : ادعوهم ، فوالله انى لارجو ألا يجمعنى الله واياهم فى مكان واحد أبدا ، دعوهم يرحمهم الله ، غنم عدا فى نواحيها الذئب .

وصمد اخوة يزيد بجانبه فى القتال حتى قتل أخوه حبيب ابن المهلب فلما علم بمقتله قال : لا خير فى العيش بعد حبيب ! قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة ، فوالله ما ازددت له الا بغضا ، امضوا قدما ، وتهيأ يزيد للمقتال بنفسه بعد أن تسلل من جانبه معظم أصحابه فلم يبق معه سوى جماعة قليلة من أقاربه ، وقام بالكر على جند الشام فتراجعوا أمامه ، فأشار عليه أحد أصحابه وهو أبو رؤبه المرجىء بقوله : هل لك أن تنصرف الى واسط - بعد أن ذهب الناس عنك - فانها حصن فتتزلها ، ويأتيك مدد أهل البصرة ، ويأتيك أهل عمان والبحرين فى السفن ، وتضرب خندقا ، فقال له يزيد قبح الله رأيك ! الى تقول هذا ! الموت أيسر على من ذلك ، فقال له أبو رؤبة : فانى أتخوف عليك لما ترى ، أما ترى ما حولك من جبال الحديد فقال له : ما كنت بالذى أبالى أجبال حديد كان أم جبال نيران اذهب عنا ان كنت لا تريد قتالا معنا (٥٥) .

ثم قاتل يزيد بن المهلب حتى قتل على يد القحط بن عياش الكلبي ، كما قتل معه أخوه محمد بن المهلب وعدد كبير من قادة جيشه ، بينما ظل أخوه المفضل بن المهلب يقاتل أهل الشام ، ولا يدري بقتل أخيه ، فجاءه من قال له : ما تصنع هاهنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد وانهزم الناس ؟ ، فلما علم بذلك ،

الأصحاب المفضل تفرقوا عنه ، واتجه المفضل نحو واسط وكان عليها معاوية بن يزيد بن المهلب فأخرج من كان عنده من أسرى جند الشام فقتلهم ، ومنهم عدى بن أرطاة والى البصرة ، ثم اجتمع من بقى من آل المهلب وفروا فى السفن الى البحرين ، ثم غادروا السفن الى جبال كرمان فاجتمعت الى المفضل بعض الفلول الهاربة من أنصار يزيد فأرسل مسلمة مدرك بن ضب الكلبي لتعقبهم فأدركهم فى فارس وقاتلهم حتى قتل المفضل وعدد كبير من أصحابه ، وطلب بعضهم الامان فمنحهم له مسلمة (٥٦) .

وتم بذلك القضاء على فتنة خطيرة هددت عرش الخلافة الاموية وكادت أن تقطع أوصالها لولا أن الله سخر لها قائدین من أفضل أبناء الامويين هما مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد حفظا للدولة وحدتها وساعدا فى اقرار الامن والنظام فى البلاد .

دور العباس فى النزاع على الخلافة سنة ١٢٦هـ :

بعد أن شاهد العباس بن الوليد عظمة الدولة الاموية وأمجادها أيام جده عبد الملك ووالده الوليد وأعمامه سليمان وعمر بن عبد العزيز كتب له أن يشاهد أيضا أحلك أيام الدولة الاموية ، وفترات انهيارها وان كان لم يشهد لحظة نهايتها فقد توفى قبلها بقليل ، ولم ير ما حدث لبنى أمية على يد العباسيين ، ولعل الله أراد أن يحفظه من أذى العباسيين لجهاده فى سبيل الله ورفع راية الاسلام واعلاء شأنه .

وقد اشتد الصراع على الخلافة بين أبناء البيت الاموى سنة ١٢٦ هـ ، وقد حاول العباس أن يوحد صفوف الامويين ، ويوقف نزاعهم على الخلافة ، ولكن حب الخلافة أعمى أخوته وأبناء عمومته ، فلم يستمعوا لنصح أو ارشاد بل وجرفوا معهم العباس ، وأجبروه على المشاركة فى الاحداث رغم أنه ، ووضعوا بذلك أنفسهم فى طريق الهاوية الذى انتهى بسقوط دولتهم سنة ١٣٢ هـ وقيام الدولة العباسية .

وكانت خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بداية النهاية للدولة الاموية اذ نشب فيها الصراع على الخلافة سنة ١٢٦ هـ فقد كان الوليد من أضعف خلفاء الامويين واتهمه بعض الناس بارتكاب المعاصى وانتهاك حرمت الله عز وجل وغالى البعض فاتهمه بالزندقة .

وقد عمل الخليفة هشام بن عبد الملك على اشاعة هذه الصفات عن الوليد ، وبالح فيها وساعده على ذلك حاشيته ليقوم بعزله من ولاية العهد ويولى أحد أبنائه فقد قال يوماً لاحد أصحابه : « أترى الناس يرضون بالوليد ان حدث بى ما حدث ؟ فقال له : بل يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك لابد من الموت ، أفترى الناس يرضون بالوليد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ان له فى أعناق الناس بيعة ، فقال هشام : لئن رضى الناس بالوليد ما أظن الحديث الذى رواه الناس : « ان من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار » الا باطلا (٥٧) .

(٥٧) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢١٣ ، ابن كثير -

وبعد تولى الوليد للخلافة استمرت صورته السابقة في أذهان الناس وربما ساعد هو عليها ببعض أعمال اللهو التي كان يقوم بها بين الحين والآخر .

وقام بعض أفراد من بنى أمية بنصحهم حفاظا على هيبة الخلافة ، ولكنه رفض نصحتهم ، بل وقام بالاساءة الى بنى عمه واضطهادهم ، فضرب سليمان بن هشام بن عبد الملك مائة سوط وحلق رأسه ولحيته ونفاه الى عمان وحبس يزيد بن هشام وعدد من أولاد الوليد بن عبد الملك ، فالتحد ضده أبناء هشام وأبناء الوليد ، واتهموه بالكفر وتزعمهم يزيد بن الوليد ، وكانت الرعاية تميل اليه لأنه كان يظهر النسك والاخلاق والتواضع (٥٨)

ولكن الوليد لم يكن بهذه الدرجة من الفسق والفجور الذي أشاعه الناس عنه وتبعهم في ذلك العديد من المؤرخين ، حتى ذكروا أمورا لا يصدقها عقل ومن ذلك ذكرهم أن الوليد عندما ذهب للحج أمر مهندسه أن يبني له قبة فوق الكعبة يشرب فيها الخمر أثناء الحج (٥٩) ، فلم الحج وتحمل مشقته إذن ! .

ونستدل على مبالغة الناس في اتهام الوليد بهذه الصفات بما رواه النویری وابن كثير عن شبيب ابن شيبة أنه قال: « كنا جلوسا عند الخليفة العباسي المهدي فذكروا الوليد ، فقال المهدي كان زنديقا ، فقال ابن علاثة الفقيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل أعدل من أن يولى خلافة النبوة وأمر الأمة زنديقا

(٥٨) ابن الاثير الكامل ج ٤ ص ٢٦٤ .

(٥٩) اليعقوبي تاريخه ج ٢ ص ٣٣٣ .

لقد أخبرني من كان يشهده في لهوه بمروعة في طهارته وصلاته ، فكان اذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليه المطيبة والمصبغة ، ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويؤتي بثياب نظاف بيض فيلبسها ويصلي فيها ، أفهذا فعال من لا يؤمن بالله ؟ (٦٠) .

كما يروى أن الوليد لما ولي الخلافة أجرى الارزاق على فقراء أهل الشام ومرضاهم وعميانهم وكساهم وأمر لكل انسان منهم بخادم ، وزاد أعطيات الناس ، ولم يقل في شيء يسأله : لا (٦١) فما الذي يدقعه لعمل ذلك اذا كان يتصف بكل هذه الصفات السيئة التي ذكرت عن من فسقه وزندقه ؟

ثم سعى الوليد الى عزل يزيد بن هشام من ولاية العهد وتولية ولديه الحكم وعثمان فشاوور أحد أصحابه وهو سعيد بن بيهس فقال له : لا تفعل انهما غلامان صغيران ، فغضب عليه وحبسه حتى مات في حبسه (٦٢) .

ثم حدث خلاف بين الوليد وخالد بن عبد الله القسري لرفض خالد الافصاح عن أسماء بعض القبائل التي تعتزم الثورة على الخليفة فأمر الوليد بحبسه وتسليمه ليوسف بن عمر والى العراق الذي قام بقتله (٦٣) .

(٦٠) النويرى - نهاية الادب ج ٢١ ، ص ٤٨٦ ، ابن كثير البداية

والنهاية ج ١٠ ص ٨ .

(٦١) النويرى - نهاية الارب ج ٢١ ص ٤٦٧ .

(٦٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٣٣ .

(٦٣) النويرى - نهاية الارب ج ٢١ ص ٤٧١ .

وقد أدت هذه المواقف للخليفة الى ازدياد غضب الناس بل
و ثورة القبائل عليه وعلى رأسهم اليمانية وقضااعة ، وهم أكثر
جند أهل الشام ، وعظم عليهم قتل زعيمهم خالد بن عبد الله
القسرى ، ومما زاد فى ثورتهم أن الخليفة الوليد قال شعرا
يستفزهم فيه ، ويقلل من شأنهم (٦٤) ومنه :

وتحن المالكون الناس قسرا
نسو مهم المذلة والنكالا
وطئنا الاشعري بعز قيس
فيالك وطاة لن تستقالا
وهذا خالد فينا أسير
ألا منعوه ان كانوا رجالا
عظيمهم وسيدهم قديما
جعلنا المخزيات له ظللا
فلو كانت قبائل ذات عز
لما ذهبت صنائعه ضللا
ولا تركوه مسلوبا أسيرا
يسامر من سلاسلنا الثقالا

(٦٤) يروى ابن الاثير أن هذه الابيات قالها أحد شعراء اليمن ونسبها
للوليد لتحريض اليمانية عليه الكامل ج ٤ ص ٢٦٤ وهذا ليس بمستبعد
لاشغال الثورة فى نفوس اليمانية ، وسواء قالها الوليد أو غيره فقد أشعلت
هذه الابيات الثورة ضد الوليد .

الى أن يقول :

فمازالوا لنا أبدا عبيدا

نسومهم المذلة والسفالا (٦٥)

فعظم هذا الكلام على قبائل اليمانية ، وبدأوا يسمعون في الثورة عليه وقتله وأتوا الى يزيد بن الوليد لمبايعته ، فشاور يزيد عمرو بن يزيد الحكمي ، فقال له : لا يبايعك الناس على هذا ، ولكن شاور أخاك العباس بن الوليد ، فانه سيد بني مروان ، فان بايعك لم يخالفك أحد ، وان أبي أطاعه الناس في رأيه ، فان أبيت الا المضي على رأيك وتولى الخلافة فأظهر أن العباس قد بايعك سواء وافق أو رفض بيعتك ، وكان العباس حينئذ بالقسطل (٦٦) ، فتوجه اليه يزيد وأخبره برأيه وشاوره ، وعاب الوليد أمامه ، ولكن العباس بما يملكه من خبرة وحكمة

(٦٥) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٣٥ ، وقد رد على هذه الابيات أحد شعراء اليمانية وهو حمزة بن بيض بقوله :

ياوليد الخنى تركت الطريقا واضحا واركتبت فجأ عميقا
وتماديت واعتديت وأسرف ت وأغويت وانبعثت فسوقا
أبدأ هات ثم هات وهاتى ثم هاتى حتى تضر صعيقا
أنت سكران ما تفيق فما تر تق فتقا وقد فتقت فتوقا

النويري - نهاية الارب - ج ٢١ ص ٤٧٦ .

(٦٦) هي موضع في الصحراء بين دمشق وحمص - باقوت معجم

البلدان ج ٤ ص ٣٤٧ وكان معظم الامراء قد خرجوا الى الصحراء حينذاك

لانتشار الوباء في مدن الشام . ابن الاثير الكامل ج ٤ ص ٢٦٥ .

قال لأخيه : مهلا يا يزيد فان فى نقض عهد الله - يقصد عهد بيعة الخلافة - فساد الدين والدنيا ، ونهاه عن رأيه (٦٧) .

فرجع يزيد الى منزله وبدأ يدعو الناس الى بيعته سرا فبايعه بعض وجوه الناس وأشرفهم مثل الاحنف الكلبي ويزيد بن عنبسة السكسكى ، فطلب منهم دعوة الناس لبيعته ، ولكنه حريص على أن يكسب الى جانبه أخاه العباس لما له من تأثير كبير فى بنى أمية وفى الرعية ، فعاد مرة أخرى لزيارته ، وشاوره مرة أخرى فى عزل الوليد ، وأخبره أن قوما يأتونه يريدونه على البيعة ، وطلب من العباس مبايعته ، فزجره العباس وقال له : ان عدت لمثل هذا لأشدنك وثاقا ولا حملنك الى أمير المؤمنين ! فخرج يزيد وخادم له يسمى قطن ، فأرسل العباس الى قطن فعاد اليه ، فقال له العباس : ويحك يا قطن ! أترى يزيد جادا ؟ قال : جعلت فداك ! ما أظن ذاك ، ولكنه قد دخله ممّا صنع الوليد ببنى هشام وبنى الوليد ، وما يسمع مع الناس من الاستخفاف بالدين وتهأونه ما قد ضاق به ذرعا ، فقال العباس : أما والله انى لاظنه أشأم سخلة فى بنى مروان (٦٨) ، ولولا ما أخاف من عجلة الوليد مع تعامله علينا لشدت يزيد وثاقا وحملته اليه ، ولكن ازجره عن أمره يا قطن فانه يسمع اليك .

فلما عاد قطن الى يزيد قال له : ما قال لك العباس حين رأيك ؟ فأخبره بما قاله فقال يزيد : والله لاأكف عن ذلك (٦٩) .

(٦٧) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٣٧ .

(٦٨) يقصد العباس بذلك أنه أشأم مولود فى بنى مروان - النويرى

نهاية الارب ج ٢١ ص ٤٧٦ .

(٦٩) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٣٨ .

وقد بلغ مروان بن محمد بن مروان - وكان والى أرمينية - أن يزيد يؤلب الناس ويدعو إلى خلع الوليد ، فكتب إلى سعيد ابن عبد الملك بن مروان يأمره أن ينهى الناس ويكفهم ويحذرهم الفتنة ، ويخوفهم خروج الأمر عنهم ، فأعظم سعيد ذلك ، وبعث بالكتاب إلى العباس بن الوليد ليتصرف في الأمر ولسماع الناس رأيهم ، وأحضر العباس يزيد وحذره وزجره مرة أخرى ، وتهده ، فقال له يزيد : يا أخى أخاف أن يكون بعض من حسدنا هذه النعمة من عدونا أراد أن يغرى بيننا ، وحلف يزيد أنه لم يفعل شيئاً ، وكتب أمره عن العباس فصدقه (٧٠) .

ثم لجأ يزيد للضغط على العباس لمبايعته عن طريق أخوته ، فأرسل له أخاهما بشر بن الوليد فكلمه في خلع الوليد وبيعة يزيد ، فنهاه العباس عن ذلك ، وبشر يلح عليه ، فقال له العباس : يا بنى مروان ، انى أظن الله قد أذن في هلاككم وتمثل قائلاً :

انى أعيذك بالله من فتن
مثل الجبال تسامى ثم تندفع
ان البرية قد ملت سياستكم
فاستمسكوا بعمود الدين وارتمعوا
لا تلحن ذئاب الناس أنفسكم
ان الذئاب اذا ما ألحمت رتموا (٧١)

(٧٠) النويرى نهاية الارب ج ٤١ ص ٤٧٧ .

(٧١) ألحمت القوم - أطعمتهم اللحم .

لا تبقرن بأيديكم بطونكم
فشم لا حسرة تغنى ولا جزع (٧٢)

وكان العباس يرى فى خروج أخيه يزيد على الخليفة فتحة لباب الفتن والصراعات داخل البيت الاموى ، ونقضا لبيعة شرعية بايعوها للخليفة مما يقوض أركان البيت الاموى، ويهدم جدرانها ، وأن هذا سيفتح باب التمرد على الخلفاء بعد ذلك من جانب أخوتهم وأبناء عموماتهم بعد أن كان التمرد قبل ذلك قاصرا على القادة المعزولين وما شا بههم ، كما كان يرى أن يزيد لن يستقر فى حكمه ، ولن ينجح فى اقرار الامن والنظام فى الدولة ، لان هناك بعض القادة والامراء سيميلون الى جانب الوليد ، ويطالبون بدمه أو بعودته للخلافة ان كان حيا ، وبهذا ستدخل البلاد حربا أهلية لا نهاية لها فى وقت تحدد بالدولة الاخطار الداخلية من جانب دعاة العباسيين والاطار الخارجية من قبل الروم .

ولكن محاولات العباس لم تكن لتجدى نفعا أمام أخيه يزيد الذى تمكن حب الخلافة من عقله وقلبه ، ولن يتراجع عنها هذا فى الوقت الذى فيه الخليفة الشرعى لاه وغافل عن الذى يحدث ، وكان مقيما بالبادية قرب دمشق بسبب انتشار وباء بدمشق - كما ذكرنا - وقد جاءه خادم له يوما فعرفه خبر

يزيد ودعوته الناس لبيعته ، ف ضرب الوليد هذا الخادم مائة سوط ، ولم يصدق (٧٣) .

ربما لأنه لم يكن يتوقع حدوث ذلك من يزيد أو غيره من أبناء عمومته وله في رقيبتهم بيعة شرعية بالخلافة .

ولما أتم يزيد استعداداته ، واجتمع له الناس في مقره بالبادية ، وكان بينه وبين دمشق أربعة أيام ، توجه الى دمشق متنكرا في سبعة من أصحابه ، وقد بايع له أكثر أهل دمشق سرا ، فدخل يزيد دمشق ليلا بعد المغرب ، ونزل دار ثابت بن سليمان بن سعد الخشنى ، وكان والى دمشق حينذاك عبد الملك ابن محمد بن الحجاج بن يوسف ، ولكنه خاف الوباء فخرج الى البادية ، واستخلف ابنه على دمشق ، وقد أعلمه بعض خاصته بخروج يزيد الى دمشق لكنه هو الآخر لم يصدق (٧٤) .

وقد أرسل يزيد الى أصحابه في دمشق ليعلمهم بوصوله ، فاجتمع بعضهم في المسجد لصلاة العشاء ، وأقبل اليهم يزيد في مائتين من أصحابه ، فدخلوا المسجد ، وقبضوا على خزان بيت المال وصاحب البريد ، وأرسل الى كل من كان يحذره في دمشق فقبض عليه ، وقدم على يزيد من الجزيرة سليمان بن هشام بسلاح كثير فرقه على أصحابه ، فلما انتصف نهار اليوم التالى لقدمه بايعه الناس (٧٥) .

(٧٣) اليعقوبى - تاريخه - ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٧٤) ابن الاثير - الكامل - ج ٤ ص ٢٦٦ .

(٧٥) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٤٠ .

وأرسل يزيد الى حاكم دمشق عبد الملك بن محمد بعض أصحابه وأعطاه الأمان فخرج اليه بالطاعة ، وتنادى يزيد في الناس : من ينتدب الى الفاسق - يقصده الوليد - وله ألف وخمسمائة درهم ؟ فانتدب اليه يومئذ ألف وخمسمائة رجل فعين عليهم قائدا عاما عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ومعه منصور بن جمهور ويعقوب بن عبد الرحمن الكلبي .

وقد خرج من دمشق خادم للخليفة الوليد متوجها اليه ، فأعلمه الخبر لكنه لم يصدق ، وأرسل الى دمشق أبا محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية لاستطلاع الأمر ، فلما قدم الى دمشق سالم يزيد بن عبد الملك وبايعه (٧٦) .

فلما تأكد الوليد من خروج يزيد على طاعته استشار أصحابه ، فقال له يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين ، سر حتى تنزل حمص فانها حصينة ، ووجه الجنود الى يزيد فيقتل أو يؤسر ، فقال عبد الله بن عتبة بن سعيد بن العاص : ما ينبغي للخليفة أن يدع معسكره ونسائه قبل أن يقاتل ويعذر ، والله مؤيد أمير المؤمنين وناصره .

فقال يزيد بن خالد : وماذا يخاف على حرمه ؟! وانما أتاه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وهو ابن عمه ، ولكن الخليفة الوليد أخذ بقول ابن عتبة وبقي في موضعه ، ثم أشار عليه أصحابه بنزول حصن البغراء القريب منهم فانه ينأه الرومان قبل الاسلام ، فنزل على رأيهم ، وتوجه بمن معه

الى حصن البغراء ، كما أعد يزيد بن الوليد قواته لمحاربة الوليد ، وساروا اليه فنزلوا قريبا من موضعه (٧٧) .

ولم يكن العباس بعيدا عن تطور الأحداث ، ولم يرد أن يقف سديبا ازاء محنة عظمى تهدد حدم اسرته بهذه المحنة ، وكان ظاهر الاحداث يقول بان العباس سينضم الى اخيه يزيد فى صراعه على الخلافة ضد ابن عمه ، ولكن العباس قرر الانضمام الى الخليفة الشرعى ضد اخيه للحفاظ على وحدة البيت الأموى ولم تكن مساندة العباس للوليد مجرد اعلان تأييد وكفى ، وانما استعد فى نحو مائة وخمسين من مواليه وولده للوقوف بجانب الخليفة ، وبعث رسولا أمامه يقال له حبيش الى الوليد يخبره بين أن يأتيه فيكون معه أو يسير الى يزيد بن الوليد فيحاربه ، فأرسل اليه الوليد يأمره أن يأتيه فيكون معه ، فلقى منصور بن جمهور - قائد مقدمة جند يزيد - الرسول فسأله عن الأمر فأخبره ، فقال له منصور : قل للعباس : والله لئن رحلت من موضعك قبل طلوع الفجر لأقتلنك ومن معك - وذلك على لسان الوليد - فاذا أصبح فليأخذ حيث أحب ، وليتوجه حيث شاء .

وكان تأخير العباس لازما لجند يزيد حتى يقتربوا من موضع الوليد ويقطعوا الطريق على العباس ، فلا يتمكن من الانضمام الى جند الخليفة الوليد ، وقد أرسل العباس رسولا آخر الى الخليفة يقول له : انى آتيك وذلك لتثبيته وشد أزره حتى يصل اليه مع بنيه وأتباعه (٧٨) .

(٧٧) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٤٤ .

(٧٨) ابن الاثير - الكامل - ج ٤ ص ٢٦٧ .

وقد سر الخليفة بموقف العباس ، وأخرج سرير العرش أمام قصره وجلس عليه انتظارا لقدوم العباس وحوله جنده ، وأخرج لواء مروان بن الحكم - الذى عقده بالجايية - ونصبه أمامه ، ولكنه فوجيء بجند يزيد بقيادة عبد العزيز بن الحجاج تصل اليه قبل قدوم العباس ، واصطف الفريقان للمقتال ، فكر جند الوليد على جند يزيد فكشفوهم ، وقتلوا عددا من أصحاب يزيد ، فجمع عبد العزيز بن الحجاج جنده يزيد مرة أخرى لمواصلة القتال ، فبلغه حينذاك مسير العباس بن الوليد متوجها الى الخليفة الوليد ، وكان يعلم مدى طاعة الناس للعباس ، وأن الخليفة سيزداد قوة بوصوله لن تمكنهم من هزيمته لذلك أرسل قائد مقدمته وهو منصور بن جمهور وعدد من جنده لقطع الطريق على العباس ، وتوجيهه الى جند يزيد بدلا من جند الوليد ، فلما قابله منصور مع ثلاثين من بنيته وخدمه قال له : اعدل الى عبد العزيز بن الحجاج فشتمهم العباس وزجرهم ، فهده منصور بضرب رأسه ان لم يتوجه معه الى عبد العزيز ، وقام أحد جنده يطعن الحارث بن العباس طعنة أوقعته من على فرسه لتهديد أبيه ، فعدل معهم العباس وهو يقول : انا لله !

فلما أتوا به الى عبد العزيز هدده وتوعده وأجبره على بيعه يزيد فبايعه ، فنصبوا راية العباس ، وقالوا : هذه راية العباس بن الوليد وقد بايع لأمر المؤمنين يزيد (٧٩) .
ويحتمل أن العباس لم يبايع يزيد، وإنما سجنه عبد العزيز

ابن الحجاج وأظهر للناس أنه بايع ، وما يؤيد هذا الاحتمال ما رواه الطبرى وابن الاثير والتويرى وغيرهم أن العباس لما نظر فرأى رايته منصوبة أمام الناس قال : انا لله ! خدعة من خدع الشيطان ! هلك بنو مروان (٨٠) .

ويؤخذ على حركة العباس هذه أنها لم تكن بالقدر الكافى وكانت بطيئة وغير فعالة ، بل كان عليه أن يكون سريع الخطى لاحتباط فعله أخيه الشنعاء التى كانت القشة التى قصمت ظهر البعير .

وكان هذا الموقف تحولا خطيرا فى الصراع بين الطرفين إذ أن معظم جند الشام كانوا يشقون فى رأى العباس وحكمته ، فلما ظهر لهم أنه بايع يزيد انفضوا من حول الوليد ، وتفرقوا عنه ، واتجهوا الى العباس فى جبهة يزيد ، فلما رأى ذلك الوليد لجأ الى حيلة لتفتيت جبهة يزيد فأرسل الى عبد العزيز بن الحجاج - قائد جيش يزيد - يعده بخمسين ألف دينار وولاية حمص مابقى ، ويؤمنه من كل حدث ، على أن ينصرف عن قتاله ، فأبى عبد العزيز ورفض ذلك ، فعاوده الوليد مرة أخرى ولكن رسوله انضم الى جند يزيد ، ثم عاود الفريقان القتال مرة أخرى ، فلما أحس الوليد بقلّة أصحابه وكثرة أعدائه دخل القصر وأغلق عليه الباب فأحاط به عبد العزيز بن الحجاج وجنده ، فدنّا الوليد من الباب وقال لهم : أما فيكم رجل شريف له

(٨٠) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج ٧ ص ٢٤٥ ، ابن الاثير

الكامل ج ٤ ص ٢٦٧ ، التويرى - نهاية الأرب ج ٢٨ ص ٤٨٦ .

حسب وحياء أكلمه ؟ فرد عليه يزيد بن عنبسه السكسكى وقال
 كلمنى ، فقال له : ألم أزد فى أعطياتكم ؟ ألم أرفع المؤن
 عنكم ؟ ألم أعط فقراءكم ؟ ألم أخدم زمناكم (٨١) ؟ فقال له :
 ما ننقم عليك فى أنفسنا ، انما ننقم عليك فى انتهاك ما حرم
 الله ، وشرب الخمر ، واستخفافك بأمر الله ، فقال له حسبك
 يا أبا السكاسك ، فالعمري لقد أكثرت وأغرقت ، وان فيما
 أحل الله سعة عما ذكرت (٨٢) .

فلما وجد الوليد جفاء فى ردهم ، وصدا منهم قال لهم :
 « أما والله لا يرتق فتقكم و لايلم شعثكم ، ولا تجتمع
 كلمتكم » (٨٣) ، ثم جلس فى قصره وأخذ مصحفا فنشره بين
 يديه ، وقال يوم كيوم عثمان - يقصد عثمان بن عفان فى يوم
 استشهاده - فصعد جند يزيد الى حائط قصره ، ونزل اليه عشرة
 منهم ، فضربوه بسيوفهم ، وقطعوا رأسه ، وأرسلوها الى يزيد
 فى دمشق ، فنصبه على رمح فطاف به فى دمشق (٨٤) ، ليعلم للناس
 مقتله ، وأته صار خليفة دون منافس أو منازع ، ثم دفع برأسه
 الى أخيه سليمان بن يزيد .

(٨١) هم العجزة وكبار السن .

(٨٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٤٦ .

(٨٣) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٤٧ .

(٨٤) اليعقوبى - تاريخه - ج ٢ ص ٣٩٤ ، المسعودى - مروج

الذهب ج ٣ ص ٢٢٤ ، ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٣٥٦ .

وقد اتهم بعض الناس العباس بن الوليد بالانحياز الفعلي الى أخيه يزيد ومناصرته وخاصة أهل حمص الذين حزنوا حزنا شديدا على قتل الوليد ، وأقاموا النوايح والبواشي عليه ، وسألوا عن كيفية مقتله ، فقال بعض من حضر القتال منهم : « مازلنا منتصفين من القوم ، قاهرين لهم ، حتى جاء العباس ابن الوليد ، فمال الى عبد العزيز بن الحجاج واعانته على قتل الوليد فانتصروا علينا » . فثار أهل حمص على دار العباس فهدموها ، ونهبوا ما بها ، وأخذوا بنيها فحبسوه ، وطلبوا العباس للشأر منه ومطالبتة بدم الوليد ، كما شايعهم بعض المؤرخين في انحياز العباس ليزيد (٨٥) .

ونحن نرى أن هذا اتهام خاطيء ، وأن من أشاعوه مالوا الى ظاهر الاحداث ولم يتأكدوا من موقف العباس ، وربما يتسائل سائل : ولم لا يكون العباس قد غير رأيه أثناء توجهه الى الوليد وانحاز فعلا الى يزيد ؟ ونرد على هذا التساؤل بما رواه الطبرى : « قدم برأس الوليد على يزيد منصور بن جمهور ، ومعه عشرة فيهم روح بن مقبل ، فقال روح : يا أمير المؤمنين أبشر بقتل الفاسق وأسر العباس » (٨٦) ، فما الذى يدفع جند يزيد الى أسر العباس ؟ بل وتبشير يزيد بأسره ، فلو كان منحازا لهم ، أو على الأقل ليس له موقف جاد فى هذا الخلاف ما قاموا بأسره ، وانما رأوا أنه يتقدم للمساندة الفعلية للخليفة الوليد ، فأصبح من أعدائهم .

(٨٥) ابن الاثير الكامل ج ٤ ص ٢٧٠ .

(٨٦) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٥٢ .

لذلك وجب أسره ، كما نجد مؤرخا مثل اليعقوبى يلتبس عليه الامر لرفض العباس خلافة يزيد فيذكر أن العباس خرج على الخليفة يزيد فى حمص وأعلن الثورة وشايعه أهل حمص (٨٧) .

ولم تكن ثورة أهل حمص ضد العباس آخر النكبات التى حلت به بسبب هذه الاحداث ، فبعد وفاة يزيد بن الوليد سنة ١٢٦ هـ ، ومبايعة ابراهيم بن الوليد بالخلافة ثار مروان ابن محمد بن مروان - والى أرمينية - وقدم الى الجزيرة مطالبا بدم الوليد بن يزيد ، وجمع جيشا كبيرا استطاع به أن يهزم جند الخلافة ويعزل ابراهيم بن الوليد ، ويبايعه الناس بالخلافة ، وقد قام بقتل عدد كبير ممن شاركوا فى قتل الوليد بن يزيد ، وسجن بعضهم ومنهم العباس بن الوليد الذى قيده بالاغلال ، وسلمه الى والى حران لسجنه بها ، وقد ظل فى سجنه حتى توفى به سنة ١٣٢ هـ بسبب وباء انتشر فى حران فى هذا الوقت (٨٨) .

(٨٧) اليعقوبى تاريخه ج ٢ ص ٣٣٥ ، ولكن هذه الرواية بعيدة عن

الصواب لمخالفتها سير الاحداث ، كما اننى لم أجد رواية أخرى تساندها ، وانما أجمعت الروايات الاخرى على ثورة أهل حمص على العباس وهدم داره .

(٨٨) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٤٣٦ ، وكان معه فى

هذا السجن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس امام العباسيين

الذى قبض عليه مروان بالحميمة وسجنه فى حران ، وتوفى مع العباس

ابن الوليد فى يوم واحد بسبب الوباء ، وتولى امامة العباسيين بعده أخوه

عبد الله بن محمد بن على أبو العباس أول خليفة عباسى وقد بويع بالخلافة

فى نفس العام سنة ١٣٢ .

وإذا كان العباس لم ينحاز الى أخيه الا اننا لا نغضيه من التقصير في مواجهة هذه الفتنة ، فقد كان بإمكانه أن ينقذ تهديده لأخيه يزيد ويقبض عليه في أول الامر لمنعه من شق عصا الطاعة وهدم أركان الدولة ، ولو فعل ذلك لانتهدت هذه الاحداث واحتفظت الدولة بوحدتها ، ويبدو أن أمراء الدولة كانوا ينتظرون من العباس أن يفعل ذلك فهو أقدرهم على مواجهة هذه الاحداث ، لذلك أرسل سعيد بن عبد الملك رسالة مروان بن محمد بشأن فتنة يزيد الى العباس ليتخذ موقفا فيها ، ولكنه لم يكن سريع الخطى في مواجهة سرعة الاحداث ، ولعل تقصير العباس هذا كان سببا لسجنه على يد مروان بن محمد فيما بعد .

وفي ختام هذا البحث يرد لنا سؤال هام : لماذا لم يرد اسم العباس لتولى منصب الخلافة ؟ فرغم أنه كان أكبر أبناء الوليد ابن عبد الملك الا أنه عندما أراد أن يخلع أخاه سليمان من ولاية العهد ، ويختار أحد أبنائه وليا لعهد فقد اختار ابنه عبد العزيز وترك العباس (٨٩) ، وفي سنة ١٠١ هـ عندما أعد الخليفة يزيد بن عبد الملك الجيوش لمحاربة يزيد بن المهلب بقيادة مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد أشار العباس على الخليفة

(٨٩) لم يتم خلع سليمان لوفاة الوليد قبل تنفيذه ذلك بأيام قليلة ..

يزيد بتولية العهد لأخيه عبد العزيز بن الوليد خوفا من تطور أحداث الحرب فى العراق (٩٠) .

وفى سنة ١٢٦هـ عندما برز الصراع على الخليفة بين أفراد البيت الأموى لم يشارك العباس فى هذا الصراع لنفسه ، ولو دعا الناس الى بيعته لما كان له منافس ، لذلك وجدنا الطرفين المتصارعين على الخلافة يسعى كل منهما الى ضمه لصفوفه ، وعندما مرض أخوه يزيد بن الوليد سنة ١٢٦هـ جعل ولى عهده أخاه ابراهيم بن الوليد ولم يشر الى العباس كبر البيت المروانى حينذاك (٩١) .

ونرى أن ذلك يرجع الى أن العباس لم يكن عربيا خالصا ، اذ كانت أمه رومية « أم ولد » وقد جرت تقاليد ولاية العهد فى العصر الاموى أن لا يعهد الخليفة بولاية العهد الى من خالطه دم غير عربى ، وهذا ما حدث فى الدولة العباسية فقد كان معظم خلفائهم من أمهات غير عربيات ، كما رفض الخليفة يزيد ابن الوليد تولية العباس خليفة من بعده لعدم مساندته له أثناء صراعه على الخلافة سنة ١٢٦هـ .

كما أن العباس لم يكن له رغبة فى الخلافة ، ولم يسع هو اليها عندما كانت الفرصة مواتية له أثناء حدوث اضطرابات فى الدولة الأموية .

(٩٠) ابن عبد ربه - العقد الفريد - ج ٤ ص ٤٤٢ ط ٢ ص ٩٩٤٨

ولكن مسلمة أشار عليه فى اليوم التالى بتولية أخيه هشام بن عبد الملك
فعمل برأيه .

(٩١) اليعقوبى - تاريخه - ج ٢ ص ٣٢٧ .

وكان زهد العباس في الخلافة سببا في حب الخلفاء له
وتقريبه اليهم في مجالسهم ، فكان هشام بن عبد الملك يقربه
ويستشيره في أمور الخلافة ، كما كان الوليد بن يزيد يكلفه
بالأمور التي تتصل بالبית المرواني وحل الخلافات بينهم لاجلال
الجميع له ، وكان مروان بن محمد يستشيره في أموره قبل
أن يتهمه بالتخلي عن الوليد بن يزيد وسجنه (٩٢) .

وقد وصف الذهبي العباس بن الوليد بقوله : « كان من
الابطال المذكورين والأسخياء الموصوفين ، وكان يقال له فارس
بنى مروان ، استعمله أبوه على حمص وولى المغازي وافتتح
عدة حصون » (٩٣) كما أثنى عليه العديد من المؤرخين (٩٤) .

والحمد لله أولا وآخرا -

(٩٢) ابن عبد ربه العقد الفريد ج (١ ص ٣٢٠ ، ج ٤ ص ٤٥ ، ٢٥ .

(٩٣) الذهبي تاريخ الاسلام ج ٥ ص ٩٢ .

(٩٤) أبي عبيد البكري التنبية ص ٢٥ ، الزركلي الاعلام ج ٣ ص ٢٦٨ .

فهرست المصادر والمراجع

- ١ - ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - دار الكتاب العربى
بيروت سنة ١٩٨٥ م .
- ٢ - ابن أعثم الكوفى - الفتوح - دار الندوة الجديدة ببيروت
الطبعة الاولى .
- ٣ - البغدادى - أبى جعفر محمد بن حبيب - المحبر - دائرة
المعارف العثمانية سنة ١٩٤٢ م .
- ٤ - ابن الجوزى - المنتظم ، دار الكتب العلمية ١٩٩٢ م .
- ٥ - ابن حزم الاندلسى - جمهرة أنساب العرب - القاهرة
سنة ١٩٨٣ .
- ٦ - حسن ابراهيم حسن «دكتور» - تاريخ الاسلام السياسى
- مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٨٢ .
- ٧ - ابن خلدون - العبر وديوان المبتدأ والخبر - دار الكتاب
اللبنانى سنة ١٩٨١ .
- ٨ - ابن خلكان - وفيات الاعيان - دار صادر بيروت
سنة ١٩٧٨ .
- ٩ - الذهبى - تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام -
دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٩ .
- ١٠ - الذهبى - سير أعلام النبلاء - مؤسسة الرسالة ببيروت
الطبعة الاولى .
- ١١ - الزيرى - أبى عبد الله المصعب بن عبد الله - نسب
قريش - دار المعارف - الطبعة الثانية .

- ١٢ - الزركلى - الاعلام - بيروت سنة ١٩٨٦ •
- ١٣ - سيدة كاشف « دكتورة » - الوليد بن عبد الملك -
سلسلة اعلام العرب رقم ١٧ •
- ١٤ - الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - دار المعارف - الطبعة
الرابعة •
- ١٥ - ابن عبد ربه - العقد الفريد - القاهرة - الطبعة
الثانية سنة ١٩٤٨ •
- ١٦ - عيد العظيم رمضان « دكتور » - الصراع بين العرب
وأوروبا - دار المعارف سنة ١٩٨٣ م •
- ١٧ - أبى عبيد البكرى - التنبيه - الهيئة المصرية العامة
للكتاب سنة ١٩٧٦ م •
- ١٨ - على صافى حسين - مسلمة بن عبد الملك - الدار
القومية للطباعة سنة ١٩٦٤ م •
- ١٩ - أبى على القالى - الأمالى - الهيئة المصرية العامة للكتاب
سنة ١٩٧٥ م •
- ٢٠ - فيليب حتى - تاريخ سورية - ترجمة د/ جورج حداد،
عبد الكريم رافق - بيروت سنة ١٩٨٥ م •
- ٢١ - ابن قتيبة الدينورى - عيون الاخبار - الهيئة المصرية
العامة للكتاب سنة ١٩٧٣ م •
- ٢٢ - قدامة بن جعفر - كتاب الخراج وصناعة الكتابة -
بيروت سنة ١٩٧٩ م •

- ٢٣ - ابن كثير - البداية والنهاية - دار الفكر العربي ١٩٣٣م.
- ٢٤ - محمد راغب بن محمود بن محمود الحلبي - اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء - حلب ١٩٢٣م .
- ٢٥ - المرزبانى - نور القبس - فسيادان سنة ١٩٦٤م .
- ٢٦ - المسعودى - مروج الذهب ومعادن الجواهر - المكتبة العصرية ببيروت سنة ١٩٨٧م .
- ٢٧ - مفاورى عبيد «دكتور» - الصوائف والشوائف - الطبعة الاولى سنة ١٩٩٣م .
- ٢٨ - النويرى - نهاية الارب - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦م .
- ٢٩ - ياقوت الحموى - معجم البلدان - دار صادر بيروت .
- ٣٠ - اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى - دار صادر بيروت .